تاريخ استقبال المقال: 29 /07 /2017 تاريخ قبول نشر المقال: 14/ 09 /2017 تاريخ نشر المقال2017/12/01

حوار الحضارات في ظل القطب الواحد " قراءة من منظور النظرية الواقعية"

د.ميمونة مناصرية . جامعة بسكرة . الجزائر
د.هنية حسني . جامعة بسكرة . الجزائر
البريد الإلكتروني Mimouna_menasria@yahoo.fr

ملخص

يعتبر موضوع حوار الحضارات من أهم الموضوعات التي أثارت جدلا واسعا بعد الحرب الباردة، إذ انقسم الباحثون والدارسون على مستوى العالم إلى فئتين، الأولى ترى أن صراع الحضارات سيكون ميزة الحقبة التي تلت الحرب الباردة ، بينما يرى طرف آخر أن الحوار هو من سيكون ميزتها ، ولكل طرف مبرراته التي بنى عليها مواقفه وأطروحاته وشكل من خلالها نظرياته ، إذ يرى الطرف الأول أن العالم أصبح يحتكم إلى قطب واحد تمثله قيم العولمة، بينما يرى الفريق الآخر بأن الحضارات إنما عليها أن تتحاور في سبيل إيجاد صيغ للتعاون الاقتصادي والسياسي بمختلف طرق الحوار النزيه، وبمختلف الوسائل المشروعة للتقريب بين مختلف الشعوب والأمم، دونما إهمال لحقوق وهوية أي طرف من الأطراف المتحاورة.

الكلمات المفتاحية: حوار الحضارات ، صراع الحضارات، النظرية الواقعية ، العولمة.

Abstract :

"The Dialog Among Civilizations" is one of the most important subjects that provoked wide controversy after the cold war, as researchers and scholars divided the world into two main categories; the first sees that the clash of civilizations would be the advantage of the era following the cold war, while the other side believes that dialog is to their advantage; and each party has his own justifications for his hypothesis which formed his theories.

The first party claims that the world has become controlled by one pole represented by the values of globalization, while the second category finds that civilizations are to hold talks in order to find formulas for economic and political cooperation in various honest dialog ways, and with various legitimate means; thus bringing together peoples and nations, without neglecting rights and identity of any of the interlocutors.

تمهيد :

يكشف النظر في مسيرة الأمم والشعوب عن تفاوت دائم في مدارات التحضر ...وتمايز في أساليب الحياة الاجتماعية ، إذ يعزي بعض المفكرين ذلك إلى العرق، ويعزي البعض الآخر ذلك إلى ثراء مقدرات البيئة الطبيعية والموقع الجغرافي، فيما يعزي البعض الآخر ذلك للدين أو طبيعة التفكير وكذا الأنظمة السياسية، وأشكال التدرج الاجتماعي في المجتمع.

كما يكشف النظر أن التركة التاريخية بين الشرق والغرب مثقلة بوقائع الصراعات والمواجهات وفصول الكر والفر، ذات الطابع الديني والإيديولوجي والثقافي والحضاري و...وكذا علاقات التعاون والتكامل على المستوى المعرفي والفكري والاقتصادي، إلى جانب علاقات أخرى اتسمت بالهدوء السلمي الذي يخفي أشواطا من الاستغلال وامتصاص مقدرات الأمم والشعوب بين مختلف الكيانات ذات الصلة.

والحديث عن حوار الحضارات هو حديث عن سياسة تبعث على تفهم الآخر وتقبل أفكاره والتفاهم معه والاستعداد للتعايش السلمي معه مهما كانت هوة الاختلاف عميقة ، الأمر الذي يرجح التآلف بدل التنافر، والتقبل بدل التصادم والسؤال المطروح : **هل يمكن أن تتحاور الحضارات في عالم أحادي القطب ؟**

أولا . الحضارات بين الصراع والحوار

فأي حضارة هي حقيقة عالمية تعبر عن مكان معين ونمط إنتاجي واقتصادي ونمط اجتماعي ومجموعة من الثقافات الجماعية ...1، والحضارة أو الثقافة تمنح أصحابها والمنتمين لها موقفا من الكون ومن الحياة ومن الإنسان، أي أنها تمنحهم تفسيرا خاصا للكون وظواهره وقواه ، وتمنحهم فهما خاصا للحياة في كل فصولها من المولد وإلى غاية الفناء، كما تمنحهم سلما من الأخلاق والمعايير التي توجه مختلف سلوكاتهم، وتضبط ممارساتهم اليومية بمزيد من استشعار الرقابة سواء كان الرقيب هو الله أو القانون أو المجتمع أو الضمير أو...فلكل حضارة أو ثقافة سيماتها التي تميزها عن غيرها، سواء في العقيدة أو سلم المعايير أو مستوى التقدم والتحضر أو مدى تنوع البدائل ....الأمر الذي يمنح كل حضارة ما يميزها عن غيرها، فيما يشكل هذا الاختلاف والتناقض والتضاد أحيانا سببا في اشتعال جذوة الصراع 2، من جهة أخرى فإن المجتمعات تتمايز فيما بينها على أساس كم ونوع المعارف المتراكمة والسياق الذي تجري فيه عملية التغذية أو التلقين المعرفي والتنشئة عامة، وطبيعي أن المجتمعات الراكدة حصادها أو رصيدها المعرفي أقل من حيث الكم وجامد ومتخلف من حيث النوع ، لأن تزايد وتنوع وتطور الحصاد المعرفي رهن الفعالية الاجتماعية النشطة ، ومن ثم تطور اللغة، وتتصف ثقافة المجتمعات الراكدة بالجمود والتعصب للقديم وعدم التسامح، مع تعديل أو تطوير جديد، على عكس مجتمعات الفعالية الاجتماعية النشطة، فإن سياقها الثقافي يتصف بالدينامية والمرونة والقدرة على التكيف السريع مع المتغيرات، وهو ما يهيئ لها فرصا أفضل للبقاء والتقدم والمنافسة 3، وكذا فرصا للهيمنة والغزو والاستعمار والانفراد بالرأي والاستحواذ على ما تراه مناسبا لها دون مشورة من أحد، من هذا المنطلق برزت نظريتان في علاقة الحضارات فيما بينها:

أ – النظرية الأولى (نظرية صراع الحضارات):

وتؤكد هذه النظرية على حتمية الصراع والصدام بين الحضارات على خلفية أن الإحساس بوجود عدو مشترك بين مجموعة معينة من المجتمعات البشرية التي لها خصائص وأوضاع اقتصادية وحضارية مشتركة يجعلها تعمل على الحفاظ على تماسكها وتحالفها السياسي والثقافي لتجنب المنافسات الاقتصادية من خارج هذه المجموعة، حيث إثر انهيار المعسكر الاشتراكي وحلول حلف وارسو وزوال ما كان يوصف بـ "الخطر الشيوعي"، التفت المنظرون الغربيون، المؤثرون في سياسة بلدانهم، إلى الإسلام ليصوروه بديلا لا يقل تأثيرا وخطورة من الشيوعية على الغرب. وبهذا الاستنتاج خرج الأكاديمي الأمريكي صاموئيل هنتنغتون بنظريته حول صراع الحضارات التي يخيل له من خلالها أن ثمة حربا تستعر ويشمل مداها مستويين: الأول كوني عام، تتصارع فيه الحضارات على خلفية دينية بهدف الهيمنة العسكرية والسياسية، والآخر إقليمي، مناطقي، بل وحتى وطني، أي داخل نطاق البلد الواحد. وتتصارع في هذا الإطار ثقافات وخلفيات اثنيه ودينية مختلفة، وستشهد هذه الثقافات والأديان تصدعا في بنيتها الداخلية، لتعاد صياغتها وفق مفهوم جديد. هذا باختصار جوهر مفهوم الصراع الكوني الجديد، الذي اجتهد في إبرازه الفكر الغربي الحديث [4] على يد صاموئيل هنتينغتون .

وقد ضمن كتابه "صراع الحضارات (The Clash of Civilisation) " أفكاره التي طورها إلى فرضيات تتعدى صراع الحضارات إلى إعادة صياغة أنظمة العالم وفق مقاييس غربية، كما صنف هنتنغتون الحضارات المعاصرة في العالم ، حيث أشار إلى أن الديانة خاصية أساسية في التعريف بهذه الحضارات، وعلى أساس هذه الفكرة جاء هذا التصنيف، وهذه الحضارات هي :

الحضارة الغربية وتضم النموذجين الأوربي والأمريكي إلى جانب بعض الدول التي استوطنها الأوربيون كأستراليا ونيوزيلندا، الحضارة الكنفوشية والحضارة اليابانية والحضارة الهندوسية والحضارة الأرثوذكسية وحضارة أمريكا اللاتينية والحضارة الإفريقية والحضارة الإسلامية ، بيد أنه يستطرد قائلا بأن الحضارة الإسلامية والكنفوشية لا يمكنهما أن تندمجا في الحضارة الغربية، وهما تسعيان للتحديث بدون غربنة ، ولذلك فالصراع بينهما وبين الحضارة الغربية حتمي5.

فيما برز مفكرون في العالم يرون أن سنن الله في الكون تقتضي حوارا للحضارات بدل الصراع ، ذلك لأن الأصل في العلاقة بين البشر هي الحوار والعدل والإحسان، وما الصراع إلا أمرا عرضيا ..

ب – النظرية الثانية (نظرية حوار الحضارات):

تعتبر رد فعل متوازن وعاقل على الطرح الأول، وتعكس نظرية حوار الحضارات رغبة متبادلة في التعايش والتعاون والتفاهم بين مختلف الشعوب والثقافات لإيجاد بيئة دولية سليمة وفضاء مستقر يقوم على ضرورة الاتفاق على الحد الأدنى المشترك من القيم الإنسانية الكونية والسلوكيات الأساسية التي تشترك فيها مختلف الحضارات والثقافات والكفيلة بتحقيق قيم العدل والحرية والمساواة دون إلغاء مبادئ الاختلاف والتعدد الحضاريين [6].

إن مبادئ حقوق الإنسان والقانون الدولي هي أساس بناء العلاقات الدولية وجوهر عمل كل المنظمات الدولية وأهمها على الإطلاق منظمة الأمم المتحدة ومختلف وكالاتها وأجهزتها، ويمكن القول ببساطة انه لولا الإيمان بضرورة الحوار بين الدول والشعوب والحضارات وحتمية التواصل والتعايش بين مكونات المجتمع الدولي لانتفت الحاجة إلى وجود الأمم المتحدة وغيرها من المنظمات التي تنظم العلاقات

الدولية والإقليمية، ومن هذا المنطلق تبرز الحاجة إلى بلورة هذا الارتباط الوثيق بين مبادئ الحوار والتواصل وبين مختلف أنشطة كل أجهزة الأمم المتحدة ووكالاتها.

ويشمل موضوع الحوار والتواصل كل ما يتعلق بحوار الحضارات والتنوع الثقافي واللغوي وقيم التسامح وقبول الآخر وحق الاختلاف وعدم الإقصاء ومبادئ التضامن الدولي والحريات الأساسية ومختلف حقوق الإنسان بكل تفرعاتها، كما يسمى موضوع المقدرة على الحوار والتواصل كل إفرازات التقدم على مستوى تكنولوجيات الاتصال وبروز مفهومي مجتمع المعلومات والعولمة إلى جانب انعكاسات هذا التقدم وأهمها تحليل مفهوم الهوة أو الفجوة الرقمية والبحث عن السبل الكفيلة بالحد منها لخلق مجتمع كوني يقترب أكثر ما يكون من التكافؤ والتجانس.

إن الحوار يقوم على المساواة وإيمان أطراف الحوار بهذه المساواة ويقتضي قبول الاختلاف وإيلاء أهمية للآخر واقتسام المعرفة بوصفها رابطا جماعيا وأداة تعارف وتقارب وتضامن ويوفر التقدم التقني على مستوى تطور تكنولوجيات الاتصال والإعلام ، من خلال منتديات الحوار وهي فضاءات على الأنترنت تفتحها أطراف عديدة أغلبها مؤسسات إعلامية وثقافية لحساب تواتر وجهات نظر الأفراد حول مواضيع وقضايا مختلفة. وتساعد هذه المنتديات على معرفة تطلعات الأفراد وقياس أهمية العديد من المواضيع والأفكار بالنسبة للأفراد والجماعات7.

ثانيا .النظرية الواقعية

تتضمن الواقعية أو الاتجاه الواقعي في تحليل العلاقات الدولية عددا من المقاربات النظرية التي يجمع بينها افتراضها بأن العلاقات الدولية مجرد صراع، تسعى فيه كل دولة للحفاظ على بقائها في ظل بيئة عدائية، حيث تتسم هذه البيئة بالفوضى والتسلط القائم على معايير متعددة من قبيل الدونية والفوقية، إذ تسعى الدول إلى امتلاك القوة العسكرية والاقتصادية على السواء، وذلك حفاظا على أمنها من غزو الآخر أو تسلطه أو الاستفراد بالرأي دونها، أو الانقضاض على الغنائم لدى الدول المستضعفة أو ....فالسلطة الفوقية التي يحتكم إليها الجميع غير موجودة ولا متوفرة، بل إنها ممثلة أساسا في مجلس الأمن وهيئة الأمم المتحدة وصندوق النقد الدولي و... وكلها تمثل مؤسسات للعولمة الرامية أساسا إلى تكريس هيمنة الأقوياء – الدول الأوروبية وأمريكا– بما يملكون من سلطة مادية ومعنوية، وإفقار للفقراء على قلة ما لديهم، فالمعضلة الأمنية هي إحدى جواهر النظرية الواقعية.

وبذلك فإن الواقعيين يميلون إلى تبني سياسة القوة التي لا تعير اهتماما للاعتبارات الأخلاقية لدى صياغة الأجندة السياسية الخارجية لأن الأمر يتعلق هنا بالصراع من أجل البقاء، حيث يعتبر الاعتماد على الذات السبيل الوحيد لضمان استمرارية الدولة، كما ترفض الواقعية ادعاء دولة من الدول بأن قيمها الأخلاقية يجب أن تكون بمثابة قوانين كونية تستوجب خضوع الجميع لها.

ثالثا .شروط فعالية حوار الحضارات[8] :

لكي يتم الحوار الحضاري بنجاح ينبغي الاتفاق على بعض النقاط التي تبدو أساسية وذات أهمية أكثر من الاتفاق حول مضمون الحوار في حد ذاته – على الأقل في الوقت الراهن – و من هذه الشروط ما يلي :

أ- الحوار بين وحدات متماثلة

إن من يمثل على طاولة الحوار أمام الآخر، ينبغي أن يكون مكافئا للآخر، وندا ونظيرا، فالحوار لا يتم بين طرفين غير متماثلين، فاستخدام مصطلح "الحوار بين الإسلام والغرب" أو "الحوار بين الكنفوشية وأوروبا" غير صائب، لأن الإسلام دين وهو من يعبر عن الحضارة الإسلامية والغرب مجموعة دول، والحوار لا يتم بين دينأو حضارة ودول، ونفس الأمر ينسحب على الكنفوشية وأوروبا، إن عدم التماثل يعني أن قيم الدين يُتحاور بها في مقابل قيم دول بأكملها مع ما يكتنف هذه الدول من تنوع في إطارها المرجعي. وبهذه الصورة فالأمر يؤول في النهاية إلى المحاكمة للقيم الدينية والاجتماعية في ضوء تصور كل طرف على حدة .فالأصح أن الحوار يتم بين الدين الإسلامي والمسيحية ،أو بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية القائمة في أوروبا وأمريكا الشمالية.

بيد أن الواقع ينبئ بأن وحدات الحوار فعلا غير متماثلة فكثيرا ما حُمل الإسلام وزر سلوكات الناس وأفعالهم، فبدلا من النظر في أصوله يتم فقط محاكمة القيم الإسلامية من خلال سلوك الأفراد المسلمين، حتى وإن كانوا يجاهرون بالعصيان، من جهة أخرى فإن تماثل الوحدات تعني الأخذ والرد لكل طرف مع الآخر، وليس أن يملي طرف وينفذ الطرف الآخر.

ب -الاعتراف بالاخر

أن يؤمن كل طرف بحقّ الاختلاف في كنف الحريّة والمسؤوليّة مما يساهم أكثر في الابتكار و الإبداع، يقول توفيق بن عامر: "لا مجال للحوار بدون حريّة و تضاف إلى هذه القاعدة قاعدة مبدئيّة أخرى هي ضرورة الاعتراف بالآخر و بهويّته و معتقداته و حضارته و إحلال مبدأ التّسامح محل النزاعات التّعصّب و إقصاء فكرة التّفاضل بين الثّقافات و استبدالها بفكرة التّكامل بين الثّقافات"، ولذلك فيجب تجنب المفاضلة، أي على كل طرف أن يعامل الطّرف المقابل له على مبدأ المساواة في القيمة والمكانة تأثّرا وتأثيرا.

ولأن حوار الحضارات هو مشروع للجمع بين الثقافات المختلفة على أساس أرضية مشتركة للتفاهم ودحض التصادم والتأسيس لتقارب بين الذات والآخر، فإن هذا لا يتم إلا عبر تحليل وتفكيك للصور والأخيلة التي تأسست وترسخت لدى كل طرف عن الطرف الآخر، بيد أن الذات الغربية ومنذ ثوراتها الصناعية وكشوفاتها الجغرافية، نجدها قد صاغت صورا نمطية للآخر، وهي في الحقيقة صور مشوهة، وهذا لغايات استراتيجية استعمارية، فوسم الآخر بالتخلف والهمجية والبدائية، ولو توقفنا عند صورة العربي في المخيال الغربي نجدها قائمة على ثلاثة أبعاد هي : العنف والجهل والجنس[9].

ولأن الذات الغربية لا تشكل للطرف الآخر صورة الند أو النظير أو المثيل، فإن الحوار مع هذه الذات صعب إن لم نقل مستحيل.

ج - تحديد منهجية واضحة للتحاور:

المنهجية هي مجموع العمليات العقلية التي تجسدها الاجراءات الميدانية وتتلخص هذه المنهجية في جملة من النقاط من بينها :

- أن يكون كافة الأطراف على علم بموضوع الحوار، بل بكل أبعاد الموضوع وخصائصه ونتائجه، وكذا المألات التي قد تقود إليها نتائج الموافقة على الموضوع.
- تحديد الهدف من الحوار أي الناتج النهائي الذي يسعى المتحاورون إلى تحقيقه، ذلك أن البدء في

الحوار دون معرفة الغاية النهائية منه قد يؤدي إلى إحباط المتحاورين والتخلص سريعاً من عملية الحوار ذاتها.

- الاستعداد لدى كل الأطراف للاعتراف بالخطأ، والنظر إلى الحوار باعتباره عملية تقوم على الاقتناع بإمكانية التوصل إلى حلول وسط حول القضايا الخلافية. فالحوار هو مباراة لا صفرية تتفق الأطراف مقدماً على أنها تسعى أن تحقق من الدخول فيها مكاسب مشتركة .
- اتفاق الأطراف المتحاورة على أنها تتحاور ليس لإقناع بعضها البعض بوجهة نظرها ولكن للتوصل إلى نقطة مشتركة .
- احترام الآداب والقواعد العامة للتحاور مع الآخر ، وذلك باختيار لغة الحوار وأساليبه ومنهجيته، وذلك بالتركيز على وضوح المقولات الفكرية المطروحة في الحوار بحيث لا تختلط المعاني والدلالات لدى الطرف الآخر .
- الابتعاد عن نقاط الخلاف التي قد تؤول بالحوار إلى الصراع، وتأطير الآخر وتصنيفه في خانة الطرف المعادي أو الخصم10.
- الابتعاد عن القضايا والمسائل المثالية التي لا تستند إلى الواقع، أو التي لا تجد صدى في الواقع المعيشي للناس.
- حوار الحضارات هو شكل من أشكال العلاقات الدولية القائمة على التعاون، ولذلك فإن الحديث والحوار وحده لن يكون ذا جدوى إن لم يتزامن مع التعاون على المستويين الاقتصادي والسياسي.

د – التزامن بين حوار الحضارات والتعاون الاقتصادي والسياسي

الحوار بين الحضارات هو جزء من علاقات دولية أشمل تضم أيضاً الجوانب السياسية والاقتصادية، والحوار الذي لا يتوج بنتائج اقتصادية يفتقد الجدوى، فالأمم والشعوب مهما امتلكت من ثروات هي بحاجة إلى ما عند الآخر، من موارد طبيعية أو مواد مصنعة أو ابتكارات صناعية علمية، أو أي مواد أخرى تحقق بها الكفاية اللازمة خاصة إن احتوت على كثافة سكانية عالية، ونفس الأمر ينسحب على الجوانب السياسية، إذ الدول في هذا العالم محكومة بشبكة من القوانين التي لا تقبل التجاوز أو الاختراق، فاستقرار المجتمع الدولي مرهون بمدى التوازن في الأخذ والعطاء لكل دولة، وبمدى تجسيد لائحة القوانين والمواد التي يحتكم إليها القوي والضعيف على السواء، بيد أن المنظور الواقعي للسياسة ينبئ بغير ذلك، إذ أن السياسة حقل مستقل بذاته وللحصول على تحليل جيد يتوجب استبعاد أي مجال آخر من مجالات الاهتمام الإنساني، وما الحملات الإنسانية كالإغاثة وحقوق الإنسان إلا ذرائع لتدخلات دولية في شأن الدول المستضعفة، أو أي ذرائع أخرى أقلها الواجب الدولي الذي يلمع صورة الأقوياء، فالحوار الحضاري هنا يتحول بشكل أو بآخر إلى صورة من صور الهيمنة والاستغلال، إذ كثيرا ما استغلت الدول الأوروبية مآسي الشعوب الإفريقية لنهب ثرواتها والتبشير بالمسيحية على أراضيها دونما مقاضاة من أحد، بينما يمثل الحوار حول القضية الفلسطينية صورا للتنازل عن المبادئ والمقدسات الإسلامية من قبل الساسة العرب.

هـ – الالتزام بمفهوم "التعددية الثقافية" في حوار الحضارات:

يرى بعض الدارسين أن القرن الحادي والعشرين يتسم بانتصار الثقافة الغربية (الأوروبية الأطلنطية) ، وأن باقي الثقافات ينبغي أن تعترف بهذا الانتصار، وأن تسعى إلى التكيف مع تلك الثقافة، وما حوار الحضارات إلا ستار لإخفاء الصراع الحقيقي، فدعوة الغرب إلى حوار تحت مسميات متعددة من

بينها " حوار الثقافات ، حوار الأديان، حوار الشمال والجنوب ...." إلا رؤية سياسية تتكئ على مبدإ راسخ هو تفوق الغرب ذو الديانة المسيحية، فالغرب أينما سار حمل معه فكرة نشر المسيحية وتجسيد القيم الأوروبية بأي شكل من الأشكال، فالتحاور على أساس الاعتراف المتبادل بالاختلاف حول القيم والمعايير أمر لا يتوفر لدى الطرف الممثل للحضارة الغربية، والواقع أيضا يؤيد ذلك، ففي وقتنا الراهن وفي ظل الإمكانية الكبيرة على الاطلاع على العديد من الثقافات، بل وممارسة وتقمص أشكال متعددة لسمة ثقافية واحدة في آن واحد ، فإن ثقافة جديدة تتشكل الآن وفق السياقات الدولية الآخذة بالتشكل، على أساس خصائص نظام العولمة، رغم ما أثير حول الموضوع من قلق حول **السيادة الثقافية للدولة الوطنية**، وكذا موضوع **التنوع الثقافي**، بيد أن الثقافة الكونية ماضية في التشكل دون أن تعبأ بثقافة الدولة الوطنية، ولا بالتنوع الثقافي، ويبدو ذلك من خلال ما يلي :

1 – الانتقال بالمجتمعات من التشكل على الأساس الوطني إلى التجانس على الأساس الكوني، وهو ما يؤدي بالتدريج إلى إضعاف الشعور بالانتماء الوطني لصالح الانتماء الإنساني، حيث يتم في هذه المرحلة –التي تقود فيها الرأسمالية العالمية – تعميم النموذج الأمريكي بكل ما يتميز به من قيم فردية وذاتية وتجاوز لوحدات العمل الجماعي الذي يعزز ثقافة اقتصاد السوق ويعمقها أكثر من خلال ما تفرضه من قيم أخلاقية جديدة، حيث لا يهتم الفرد سوى بمصالحهم الفردية الخاصة، وحيث لا يعود بمقدورهم سوى اتخاذ المواقف والقرارات والقيام بالأفعال التي تنتهي بهم إلى مصالحهم الفردية الضيقة .

بعبارة أخرى تعمل ثقافة وأيديولوجية العولمة الرأسمالية على تجريد السلوك الاجتماعي من أي طابع سياسي، وكبح جماح أي عمل جماعي يستهدف التغيير الاجتماعي بتحويل مسار الأنشطة الاجتماعية إلى عادات البحث عن البقاء والاستهلاك الشخصي، وكذلك فهذه العولمة السائدة تشمل على اختراق وإفساد وإعادة تشكيل المؤسسات الثقافية والهويات الجمعية والضمير العام 11.

2 – تعميم الثقافة الليبرالية الغربية باعتبارها النموذج المتحقق الذي انتصر في الحرب الباردة، ودخول المفاهيم والمصطلحات المرتبطة بها إلى كل ركن ناء في كل مكان من العالم، حيث انتشرت مفاهيم ومصطلحات مثل حقوق الإنسان والديمقراطية السياسية والجندر وحقوق الطفل وحقوق ذوي الاحتياجات الخاصة ... ، وبدأت في التداول في معظم أنحاء العالم، حتى الهامش المجتمعي العالمي .

3 – انتشار منظمات العمل الأهلي والمدني، لتصبح قوة لوجيستية تقوم بتعميم مفاهيم ونشر ثقافة المجتمع المدني في كل المناطق النائية في محيط الهامش الكوني، حيث لم يعد المركز الرأسمالي يكتفي بالتبعية الاقتصادية والسياسية للأنظمة الحاكمة في دول الهامش، بل يقوم الآن بفتح هذه المجتمعات على مصراعيها أمام الثقافة الليبرالية .

4 – مع تعدد وتنوع الفضائيات المطلة من كل أنحاء العالم، فإن وعيا بصريا على أساس كوني يتشكل الآن لدى عامة الناس، في ظل عجز الأنظمة الوطنية التحكم والتأثير على مواطنيها إعلاميا بمعزل عن التأثيرات الخارجية، إذ أضحى من السهل على أي فرد الوقوف على مختلف الروايات لنفس الحدث، سواء كان حدثا داخليا أو خارجيا في ظرف ثوان معدودة، عبر تغيير القنوات لا أكثر، هذا التعدد البشري حول هذه الباقة الالكترونية سمي بالقطيع الالكتروني، حيث أصبح فعلا يتسم بسمات القطيع أمام قدرة المركز على التحكم في ميوله ومواقفه، من خلال التدفق المعلوماتي الهائل القادم عبر الفضائيات، وفي هذا الإطار يقول الحبيب الجنحاني بأن تيار العولمة فرض نفسه عبر ثقافة الصورة على جميع الفئات مدشنا بذلك

عصر ما بعد المكتوب، ونفس الموضوع قاد محمد عابد الجابري إلى وصف العولمة بأنها ظاهرة تشمل مجال المال والتسويق والمبادلات والاتصال، أو هي تعني ما بعد الاستعمار، وتهدف إلى توحيد الاستهلاك وخلق عادات استهلاكية على نطاق عالمي 12.

5 – لعل ظهور الشبكة العنكبوتية كان أكثر وسيلة حدت من سطوة الدولة الوطنية المفروضة عبر الحدود والحواجز السياسية، وسهلت من إمكانية المجتمعات البشرية على التواصل، رغم اختلافها إثنيا ولغويا و...، حيث صار بمقدور الناس من خلال المحادثات البينية التي تتم بمعزل عن أية رقابة أو تدخل مركزي على التبادل الثقافي والتداول في كل الشؤون بلا استثناء، وهو الأمر الذي يدعو إلى الاقتراب أكثر من الاندماج في مفهوم المواطنة الكوزموبوليتانية (المواطنة العالمية).

6 – مع كسر الحدود والحواجز، حتى تلك التي استعصت على الاكتشاف لقرون، ومع الاختلاط المكثف والمتسارع للجماعات البشرية عبر كل المستويات، كان لابد من لغة للتفاهم والتواصل بين الناس، ولعل الإنجليزية ولأسباب عديدة هي لغة العولمة الكونية الآن، وهي لغة المركز العالمي أصلا، فبالإنجليزية يتم الحديث في المطارات، وعبر الأنترنيت و...، حتى ان الإحصائيات تشير إلى أن ما نسبته 88 % مما يتم تداوله عبر شبكة الانترنيت يتم باللغة الإنجليزية، هذا ويجري حاليا العمل تحت مظلة الأمم المتحدة على مشروع اللغة الدولية (U.N.L)، وهي لغة خاصة بالحاسوب تمكن شعوب العالم من التواصل عبر شبكة الانترنيت.

ولغة العولمة الانجليزية هي لغة ثالثة بعد الانجليزية الأصلية ثم الأمريكية، وفيها ركاكة نحوية، وهي تعتمد على تعميم مصطلحات تتوافق مع نسق الثقافة الإلكترونية الاختزالي والتي تتميز بالسرعة واختصار الوقت واستثماره، وحيث ينعدم التأمل والتدقيق .

7 – بعد كل ما سبق من تعميم للثقافة الليبرالية الغربية والانتقال بالمجتمعات من التشكل على الأساس الوطني إلى التجانس على الأساس الكوني، وساعد في ذلك تعدد الفضائيات ومنافذ الانفتاح على العالم – على امتداد مسافاته – تشكيل القطيع الإلكتروني الذي ساهمت في إنشائه أيضا – وبقوة – شبكة الانترنيت، وهو الأمر الذي دعا إلى الاقتراب أكثر فأكثر من مفهوم المواطنة الكوزموبوليتانية التي تسعى إلى احتواء كل الشعوب وإنطاقها بلغة واحدة هي لغة العولمة الكونية، أمام كل هذا فإن اهتمام الشعوب والأمم تتطور بالتدريج نحو المشاكل والقضايا الكونية، فإذا كان المركز العالمي يدخل أتباعه السياسيين في معاركه الكونية فإن عموم المواطنين بالمقابل يبدون اهتماما شعبيا كونيا بهذه المعارك في الجهة المقابلة، ولعل تداعيات اجتماعات قمم الدول الصناعية واتساع نطاق الاحتجاج الشعبي الكوني على حروب أمريكا في أفغانستان والعراق خير دليل على ذلك ، وهي التي تعزز من دور ومكانة المنظمات الأهلية المتشكلة أصلا على أساس تجاوز الحدود القومية " أطباء بلا حدود، صحفيون بلا حدود، ..." 13.

وإذ يدعي البعض بأن ثقافة العولمة هي الثقافة العالمية، وليست الغربية أو الأمريكية، فإن دارسي ظاهرة العولمة لم يطمئنوا إطلاقا إلى مقولة الثقافة الكونية أو الثقافة العالمية بدل ثقافة العولمة؛ لأن الثقافة في جوهرها لصيقة بالمحلية وتعبير عن الهوية، وتجسيد لخصوصية التاريخ والتراث واللغة والفكر والمعتقد، لكن الثقافة العالمية تدل على مجموعة من القيم والمعارف التي تؤمن بها شعوب العالم ويشتركون في تداولها، فهل الجنس والإباحية والشذوذ والاختلاط مما تؤمن به شعوب العالم ؟.

فثقافة العولمة إذن تقوم على الفكر المادي الذي يفصل بين الدين والحياة، بينما العالمية طموح إلى الارتفاع بما هو خاص إلى مستوى عالمي وهي تفتح على ما هو عالمي وكوني، بعكس العولمة التي تحاول إيجاد أنماط عالمية ثابتة ، إن نشدان العالمية في المجال الثقافي كما في غيره من المجالات طموح مشروع ورغبة في الأخذ والعطاء وفي التعارف والحوار والتلاقي ، إنها طريق لجعل الإيثار يحل محل الأثرة.

وهي ثقافة مادية تولى جل اهتمامها للجانب المادي من الإنسان على حساب الجانب المعنوي الروحي وبالتالي فهي تؤدى إلى شقاء الفرد وعدم إشباع الجوانب الروحية الضرورية للإنسان .

وهي ثقافة الكسب السريع والإيقاع والتسلية الوقتية وإدخال السرور على النفس وتحقيق ملذات الحس ، وتعمد ثقافة العولمة إلى المفاهيم العقدية والسياسية والثقافية ، فتهمشها ثم تبذر محلها مفاهيم اقتصادية مادية استهلاكية استمتاعية ، إن ثقافة العولمة عندما تقوم بتفريغ العقائد والقيم السامية من نفوس الأفراد واستبدالها بقيم ومفاهيم العولمة تؤدى إلى فقدان الهوية الثقافية للأفراد وزوال أواصر الترابط والتعاون بينهم مما يسهل معه السيطرة على الشعوب والأفراد.

وهي تمجد الاستهلاك والمبالغة في الصرف حيث وصل الحد إلى التبذير عند شعوب الغرب وإلى حد الحرمان عند شعوب الجنوب الفقيرة.

وثقافة العولمة تقدس الفردية، وتطلق العنان للأنا في سباق محموم كما تشكل فيها الدولة دور الحارس لمصالح الأفراد والغلبة فيها للأقوى نفوذاً ، مالياً أو إعلامياً أو سياسياً وهذا مخالف للرؤية الإنسانية عامة.

وهي تعمل على توليد مناخات العنف ، ثم العمل على السيطرة والاختراق وتحقيق الأطماع ، وكل هذا لا يكون بغير القوة، لذلك نجد أن عماد العولمة " الأمركة " ثقافة حق القوة ، بينما الأصل أن تكون القاعدة المعتمدة هي قوة الحق، ومن هنا يتبين أن ادعاء العولمة بأن ثقافتها عالمية أو كونية ليس صحيحا ، لأن هناك فرقا واضحا بين الثقافة العالمية وثقافة العولمة ، من حيث الرؤى والأهداف 14.

و – حوار حضارات "منتج لمعرفة جديدة"

يعتمد نجاح حوار الحضارات على مدى تعامله مع القضايا الراهنة التي تؤثر على العلاقات بين تلك الحضارات ، ذلك أن اقتصار الحوار على استدعاء الخبرات التاريخية ومحاولة إعادة تفسيرها وتقديمها بشكل يوحي بإيجابية العلاقة بين الحضارات عبر التاريخ ، أو اقتصاره على تأكيد أطراف الحوار لفضل حضارتهم على الحضارات الأخرى ، كل ذلك يحكم على الحوار بعدم القابلية للاستمرار . حوار الحضارات الفعال ينبغي أن يتعامل مع القضايا المطروحة على جدول أعمال النظام العالمي ، وعلى جدول أعمال العلاقات بينهم، وأن تنتج اللقاءات بين المتحاورين معارف من نوع آخر، تتقاطع فيها كل الرؤى والطروحات على اختلاف الأطراف الت تقود الحوار، بيد أن الواقع يقول بغير ذلك، ففي الوقت الذي تتحاور فيه الحضارة الإسلامية مع نظيرتها الحضارة الغربية تصيغ الدول الغربية واقع المسلمين وفق ثقافتها الخاصة، حيث يطغى **اللاتضمين الثقافي أو عولمة التجربة المحلية.**

حيث يصف أنتوني جيدنز اللاتضمين بأنه اقتلاع العلاقات الاجتماعية من السياقات المحلية للتفاعل وإعادة تشكيلها في نطاقات غير محددة من الزمان–المكان. وتعد هذه فكرة مهمة لفهم الخبرة الثقافية

للعولمة، بينما يناقش جيدنز نوعين من "الآليات" التي تقتلع العلاقات الاجتماعية من انطمارها (تضمينها) في النواحي المحلية :"**العملات الرمزية**" و"**الأنظمة الخبيرة** " ، إذ :

- تعد العملات الرمزية وسائط للتبادل ذات قيمة قياسية ، وبذلك يمكن تبادلها بينيا عبر مجموعة من السياقات، ويشكل المال وسيلة لاقتلاع العلاقات الاجتماعية والاقتصادية من التحديد الزماني–المكاني للنواحي المحلية المادية، لأنه نظام مجرد لتبادل القيمة المعيارية، حيث يسمح بتبادل العلاقات في ما وراء خصوصيات الموقع ، صحيح أنه كان موجودا في مجتمعات ما قبل الحداثة ، إلا أنه لم يكن على صورة العملات الرمزية المجردة ، الموجودة في الاقتصاديات المعاصرة، إذا أنه أصبح مستقلا عن الوسيلة التي يمثل بها ، واتخذ شكل معلومات خالصة مخزنة في صورة أرقام على أوراق مطبوعة بالحاسوب .
- وتربط الأنظمة الخبيرة Expert systems هي الأخرى بين الزمان والمكان من خلال نشر أنماط من المعرفة التقنية التي تتمتع بصلاحية مستقلة عن الممارسين والعملاء الذين يستخدمونها ، وهنا يتحقق الاقتلاع للعلاقات الاجتماعية من السياقات المحلية بواسطة التواسط المنتظم للحياة اليومية من خلال الخبرة الرسمية، حيث يقول جيدنز : إن الأنشطة الروتينية مثل قيادة السيارة تتضمن علاقة متماسفة من "الثقة" في مجموعة من الأنظمة الخبيرة، مثل تقنيات تصميم وتصنيع السيارات، وأنظمة مراقبة المرور ...، ويمثل التفاعل الروتيني للأشخاص المعاصرين مع هذه الأنظمة الخبيرة "تمديدا" للعلاقات الاجتماعية، حيث إننا نتصل بنظام مجرد يجسد المعرفة التقنية، وليس بالعاملين المحددين الذين قد يكونون هم من قاموا بتصنيع سياراتنا، والذين أجروا برمجة برنامج التدفق المروري المحوسب.

وبمرور الزمن أصبحت الأنظمة الخبيرة متغلغلة في حياتنا الاجتماعية بكل تفاصيلها، من مأكل وأدوية ومسكن و...وهو الأمر الذي يفرغ الحياة اليومية من محتواها التقليدي .

ولا يتوقف الأمر هنا فحسب ، بل إن العملات الرمزية والأنظمة الخبيرة قد سهلت وإلى حد بعيد من هجرات الأفراد نحو مواطن غير مواطنهم الأصلية، الأمر الذي من شأنه إحداث اختلالات ديموغرافية، ويبدو جيدنز في تسليمه بنظام التشريد هذا، إذ يقول بأن الحداثة "تهجر"، فإنه يشير إلى العملية التي يصبح بها المكان "تخيليا" تنفذ إليه صور الحضور الطيفي الخاصة بالتأثيرات البعيدة، ذلك أن الحياة في المجتمع المحلي في العصر الحديث، تتعرض للتحول الجوهري انطلاقا من النواحي المحلية المحتواة ذاتيا في عصور ما قبل الحداثة ، حيث تصبح التجربة السائدة للحياة اليومية في العالم الحديث –العالمي متعلقة بتعرض عوالمنا الحياتية التي تقع في سياق محلي للاختراق من قبل أحداث، وعلاقات، وعمليات بعيدة • .15

ي- الحوار داخل الحضارات

ليس من المتصور أن ينجح الحوار بين الحضارات في الوقت الذي تكون فيه الحضارة الواحدة منقسمة ذاتياً ،ومتخلفة اجتماعياً . فانقسام الحضارة الواحدة إلى وحدات متصارعة ليس بينها حوار لا يوفر إطاراً مناسباً لدخول تلك الحضارة في حوار فعال مع الحضارات الأخرى . ولنأخذ مثالاً على ذلك بالانقسام السني – الشيعي داخل الحضارة الإسلامية، لقد أدى هذا الانقسام إلى ضعف الحضارة الإسلامية ،

ووقوعها تحت السيطرة الاستعمارية الأوروبية ، وما زالت آثار هذا الانقسام ماثلة حتى اليوم ، وما زال القتل على الهوية المذهبية شعاراً تمارسه بعض الجماعات في العالم الاسلامي.

ومن ثم ، فإن حواراً فعالاً حول القضايا المذهبية الكبرى داخل الحضارة الواحدة هو أمر ضروري لنجاح حوار الحضارات ، ما لم نسلم بوجود حضارة فارسية وأخرى عربية ، وبالتالي انقسام الحضارة الإسلامية إلى حضارات قومية .

من ناحية أخرى ، فإن نجاح حوار الحضارات يفترض وجود حوار مماثل داخل الدول المنتسبة إلى الحضارة حول المشروع الوطني للتنمية ، أى تحقيق التنمية الشاملة ، وتدعيم الديمقراطية والتعددية السياسية ، وقبول فكرة التسامح الفكري واحترام حقوق الأقليات. فمن شأن تحويل هذا الحوار إلى واقع إجرائي أن تستطيع الحضارة التعامل بندية مع الحضارات الأخرى ، أي تطهير الداخل من الاختلافات التي تدعو إلى الفرقة .

فوائد الحوار: 1- يتمّ من خلاله تبادل الأفكار بين النّاس و تتفاعل فيه الخبرات / 2- يُساعد على تنمية التفكير. 3- يولّد أفكار جديدة. 4- يُنشّط الذّهن. 5- يُساعد على التخلّص من الأفكار الخاطئة. 6- يُساعد على الوصول إلى الحقيقة.

رابعا. أدوات الحوار بين الحضارات:

- **التّبادل المعرفي:** ونعني به تبادل المجتمعات ذات الحضارات المختلفة المنتجات المعرفية المتوصل إليها في كل المجالات الحيوية القابلة للتطوير لصالح الإنسانية بشكل عام، وكذا الخبرات والقدرات والمعارف بما يحقق التقدم والتطور للطرف المتخلف، فالأمم وإن كانت متخلفة تقنيا لا يعني بأنها متخلفة ثقافيا أو تعوزها طبيعتها الجغرافية على اللحاق بالركب الحضاري.
- **ترجمة المعارف** : هي من أقدم الأدوات التي تلجأ إليها المجتمعات – على اختلاف درجة تقدمها- لتحقيق التماثل الحضاري مع المجتمعات التي قد تتفوق في بعض الجوانب مهما كانت بسيطة، وعادة بالترجمة ينشأ التفاهم الحضاري، لأن المعارف والخبرات والقدرات والمهارات المتنقلة بين الأمم والشعوب تضفي مزيدا من نقاط التقاطع الجامعة بين بني الإنسان، فالبشر وإن اختلفت مواطنهم وبيئاتهم هم في النهاية مميزون عن باقي الخلق بالقدرة على الابداع والإضفاء المعرفي على ما سبق وتعلموه من غيرهم، وبهذه الصورة تصبح نفس السمة الثقافية أو المعرفية متداولة لدى كثير من الشعوب، مما يسمح بالتقارب والحوار الحضاري بدل الصراع.
- **الإعلام والاتصال** : في الماضي أدت صعوبة المواصلات وقصر مسافات السفر وضيق دائرة الحركة إلى ظهور الحدود الإقليمية والوطنية، فكان الإنسان لا يتحرك في الغالب إلا داخل حدود الإقليم، وكان يجد في المجتمع القائم على انتماءات الدم والعصبيات القبلية والإقليمية والوطنية ما يشبع حاجته في الانتماء، ولذلك كانت هذه الانتماءات هي المصادر الوحيدة لتحديد "الجنسية" وبلورة "الثقافة" ، فكانت الإقامة الدائمة والتواصل الدائم يوفران نوعا من القيم المحلية التي تراعي شؤون بعضهم بعضا، بينما في العصر الحاضر، عصر التكنولوجيا وقرية الكرة الأرضية، فقد أفرزت التقنية الحديثة ظاهرتين فريدتين ، الأولى : تزويد الإنسان بأدوات فاعلة يمكن استعمالها للدفاع عنه وبناء حياته، أو لفناءه وتدمير مقومات حياته، والقيم الدينية والاجتماعية هي العامل الحاسم في أحد الاستعمالين ، الثانية :

هي انهيار الحدود بين الأقطار والقوميات والثقافات ، وتفتت القبائل والعائلات ، ووهن روابط الدم والإقليم إلا في أماكن معزولة ومواقف هشة متسارعة الانهيار والانحسار، ودخلت المجتمعات البشرية في طور جديد تتميز الحياة فيه بالإقامة الموقوتة والجوار الموقوت16، والمعارف التقنية الموقوتة أيضا، إذ صار الإعلام يبني أمما ويخرب أمما، كما حدث في دول الربيع العربي، وحرب الخليج الثانية وصار مادة إشهارية في الانتخابات –على كل مستوياتها، كما حدث في الانتخابات الأمريكية الأخيرة.

فبالإعلام تتلاقح الثقافات والحضارات وبمختلف التقنيات، مما يساعد على التعارف والاكتشاف والتماثل القيمي بين الشعوب والأمم، ...ويتمثل الاعلام والاتصال في القنوات التلفزيونية وكذا شبكة الأنترنيت ومختلف شبكات التواصل الاجتماعي التي حققت بين الأمم والشعوب ما لم تحققه السياسات الدولية وما لم تحققه جحافل الجيوش منذ أمد بعيد في التضمين الاجتماعي وعولمة الأنظمة الخبيرة.

الرحلات العلمية والبعثات الثقافية: هي شكل من أشكال التقارب الحضاري، عن طريق إيفاد مثقفين وعلماء إلى بعض البلدان المتقدمة والمتطورة للاستزادة من مختلف المعارف التي قد ينهلونها منها، أو قد يقصد العلماء والمتدينون بلدانا للتبشير بمختلف القيم والتعاليم الدينية كذا لتعليم غيرهم لغات عالمية

بيد أن الواقع يقول بأن أدوات الحوار لم تكن يوما في صالح الطرف الأضعف مهما بدت براقة ومتسامحة، فمع تعدد وتنوع الفضائيات المطلة من كل أنحاء العالم ، فإن وعيا بصريا على أساس كوني يتشكل الآن لدى عامة الناس، في ظل عجز الأنظمة القومية التحكم والتأثير على مواطنيها إعلاميا بمعزل عن التأثيرات الخارجية ، إذ أضحى من السهل على أي فرد الوقوف على مختلف الروايات لنفس الحدث، سواء كان حدثا داخليا أو خارجيا في ظرف ثوان معدودة، عبر تغيير القنوات لا أكثر ، هذا التعدد البشري حول هذه الباقة الالكترونية سمي بالقطيع الالكتروني ، حيث أصبح فعلا يتسم بسمات القطيع أمام قدرة المركز على التحكم في ميوله ومواقفه، من خلال التدفق المعلوماتي الهائل القادم عبر الفضائيات، وفي هذا الإطار يقول الحبيب الجنحاني بأن تيار العولمة فرض نفسه عبر ثقافة الصورة على جميع الفئات مدشنا بذلك عصر ما بعد المكتوب، ونفس الموضوع قاد محمد عابد الجابري إلى وصف العولمة بأنها ظاهرة تشمل مجال المال والتسويق والمبادلات والاتصال، أو هي تعني ما بعد الاستعمار ، وتهدف إلى توحيد الاستهلاك وخلق عادات استهلاكية على نطاق عالمي 17.

5 – لعل ظهور الشبكة العنكبوتية كان أكثر وسيلة حدت من سطوة الدولة القومية المفروضة عبر الحدود والحواجز السياسية ، وسهلت من إمكانية المجتمعات البشرية على التواصل، رغم اختلافها إثنيا ولغويا و... ، حيث صار بمقدور الناس من خلال المحادثات البينية التي تتم بمعزل عن أية رقابة أو تدخل مركزي على التبادل الثقافي والتداول في كل الشؤون بلا استثناء ، وهو الأمر الذي يدعو إلى الاقتراب أكثر من الاندماج في مفهوم المواطنة الكوزموبوليتانية (المواطنة العالمية) .

6 – مع كسر الحدود والحواجز، حتى تلك التي استعصت على الاكتشاف لقرون، ومع الاختلاط المكثف والمتسارع للجماعات البشرية عبر كل المستويات، كان لابد من لغة للتفاهم والتواصل بين الناس، ولعل الإنجليزية ولأسباب عديدة هي لغة العولمة الكونية الآن ، وهي لغة المركز العالمي أصلا، فبالإنجليزية يتم الحديث في المطارات ، وعبر الأنترنيت و...، حتى ان الإحصائيات تشير إلى أن ما نسبته 88 % مما يتم

تداوله عبر شبكة الانترنيت يتم باللغة الإنجليزية ، هذا ويجري حاليا العمل تحت مظلة الأمم المتحدة على مشروع اللغة الدولية (U.N.L) ، وهي لغة خاصة بالحاسوب تمكن شعوب العالم من التواصل عبر شبكة الانترنيت .

ولغة العولمة الانجليزية هي لغة ثالثة بعد الانجليزية الأصلية ثم الأمريكية ، وفيها ركاكة نحوية ، وهي تعتمد على تعميم مصطلحات تتوافق مع نسق الثقافة الإلكترونية الاختزالي والتي تتميز بالسرعة واختصار الوقت واستثماره ، وحيث ينعدم التأمل والتدقيق .

خامسا – عقبات الحوار بين الحضارات[18]

رغم إدراك العلماء والمثقفين من مختلف أنحاء العالم، ومن مختلف الديانات بأن الحضارات يجب أن تتحاوروفقا للشروط المتعارف عليها، إلا أن عوائق تلوح في الأفق وتحول دون اكتمال ذلك، ومن بين هذه العوائق:

أ – غموض مفهوم الحضارات :

يتعلق الإشكال هنا بغموض مفهوم الحضارات وكذا صعوبة تحديد الحدود الفاصلة بينها . فالحضارة مفهوم شامل ينصرف إلى نمط التفاعلات بين الجوانب الاجتماعية والمادية للحياة ، فهي تراكم أفكار ومشاعر وسلوكيات شعب معين ونمط تفاعلاتها المتبادلة مع البيئة ، وكما يشير ساطع الحصري إلى أن الحضارة تشمل الأحوال المادية والمعنوية معاً ولكنها تظهر في أحسن صورها في العلوم والصنائع ، أما الثقافة ، فإنها تظهر في أظهر معانيها في اللغات والآداب . ولهذا ، فإن الحضارة ، كما يقول الحصري ، قابلة للانتقال من أمة إلى أخرى ، أما الثقافة ، فتبقى خاصة بكل أمة على حدة وأن أثرت ثقافات الأمم المختلفة . كذلك ، فالحضارة لا تختص بأمة من الأمم ، بل تشمل عددا أكبر من الأمم ، فبينما الثقافة تختص بكل أمة على حدة وترتبط بلغة الأمة وآدابها ، وباختصار "فالثقافة تكون ، في ذاتها ، قومية والحضارة تكون بطبيعتها أممية" . ومن ذلك أيضا الاختلاف حول عدد الحضارات التي شهدها التاريخ البشري، فمن قائل بأنها سبعة ومن قائل بأنها واحد وعشرون حضارة، فمفهوم الحضارة إذن ما زال ينطوي على كثير من اللبس والغموض.

ب – الاختلاف حول من يمثل الحضارات :

يتعلق هذا العائق بالاختلاف حول من يمثل الحضارة في الحوار، على خلفية أن الحضارات تتسم بعدم التجانس نظراً لأنها تتخطى وتنتقل عبر الأمم، ومن ثم فإن تحديد من يمثل الحضارة متعددة الأمم (كالحضارة الأوروبية المعاصرة) هى مسألة تحكمية. وفي حالة الحضارة ذات الأمة الواحدة (كالحضارة الصينية) ، هل يمكن القول أن النخب الحاكمة هى التي تمثل تلك الحضارة في الحوار ، أم أنه ينبغي أن يشمل الحوار النخب غير الحاكمة ومنظمات المجتمع المدني أيضاً، بينما في الحضارة الإسلامية يبدو الأمر شائكا، إذ يقع الاختلاف حول من سيمثل الحضارة الإسلامية، الشيعة أم أهل السنة، ثم مَن من أصحاب المذاهب الأربعة، ثم مَن من الفرق الإسلامية الحديثة التي ظهرت هنا وهناك؟، وأكثر من ذلك ، مَن من الدول يمثل العالم الإسلامي على طاولة الحوار؟ هل هي تركيا لأنها الأقوى اقتصاديا؟ أم إيران التي استطاعت أن تقف ندا لأوروبا بواسطة ترسانتها النووية المتطورة؟ أم السعودية لأنها تحتوي مقدسات المسلمين؟ أم.....

خلاصة :

تعبر نظرية حوار الحضارات عن رغبة متبادلة في التعايش والتعاون والتفاهم بين مختلف الشعوب والثقافات لإيجاد بيئة دولية سليمة وفضاء مستقر يقوم على ضرورة الاتفاق على الحد الأدنى المشترك من القيم الإنسانية الكونية والسلوكيات الأساسية التي تشترك فيها مختلف الحضارات والثقافات والكفيلة بتحقيق قيم العدل والحرية والمساواة دون إلغاء مبادئ الاختلاف والتعدد الحضاري، وهو وسيلة التقارب الثقافي والمعرفي بين مختلف الشعوب والأمم ، خاصة بين الشرق والغرب، والذي تأمل الشعوب أن يكون غالبه أو معظمه مثمرا وسلميا يربط الشرق بالغرب فالعادة جرت على أن لا يكون الحوار إلا في وجود اختلاف وما أكثر الاختلاف بين الشرق والغرب، على أن يكون هذا الحوار وفق شروط موضوعية تكفل الحرية والحق لجميع الأطراف بإبداء الرأي والتعبير عن الذات دونما ضغوط مسبقة، على أن يتم ذلك بالموازاة مع سلوكيات حضارية من شأنها الرفع من مستوى هذا الحوار وتأكيد مصداقيته كالتعاون الاقتصادي والسياسي بعيدا عن الاستغلال وكل أشكال الهيمنة ، بيد أن قراءة أولية للواقع الدولي ينبئ بغير ذلك، ففي الوقت الذي ينادي عالم الجنوب بالحوار، يجري تنميط الشعوب من قبل الحضارة الغربية على قدم وساق، ويتجلى ذلك أكثر فأكثر من خلال نظام العولمة والعمليات المصاحبة كـ" اللاتضمين الاجتماعي" وكذا "عولمة الأنظمة الخبيرة"، لكن هذا لا يمنع حتما حوارات استثنائية تخص قضايا بعينها تصرف النظر عن قيم الشعوب وسلم معاييرها الاجتماعية، لكنها مع ذلك تظل محدودة جدا.

الهوامش

[1] منى أبو الفضل وآخران(2008). الحوار مع الغرب آلياته أهدافه دوافعه. دار الفكر آفاق معرفة متجددة .دمشق. سوريا. ص73.

[2] ناصر الدين الأسد وآخرون(2004) .حوار الحضارات والمشهد الثقافي العربي . مؤسسة عبد الحميد شومان .عمان .الأردن. .ص 25.

[3] شوقي جلال(2007). العولمة الهوية والمسار رؤية عربية . الدار المصرية اللبنانية . القاهرة . مصر . ص 175 .

[4] http://www.annoormagazine.com 04/03 / 2008

[5] صموئيل هنتنغتون(1999). صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي.ترجمة :مالك عبيد أبو شهيوة ومحمود محمد خلف . الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان. ليبيا . ص ص 14-15 .

[6] http.// Jeunessearabe_info.htm2008/03/07

[7] نفس المرجع السابق .

[8] للوقوف على تفاصيل أوفى انظر الموقع : -www.eg.emb japan.go.jp/e/birateral/japan_egypt/seminar/peace_and_human_development/mohammed_selim/mohammed_ 2008 / 03 / 07selim_15.htm

[9] غزالة شاقور(2013).العلامة السيميائية وحوار الحضارات رهان الواقع والمتخيل. الملتقى الدولي السابع " السيمياء والنص الأدبي" جامعة بسكرة .

[10] http://laviedansmonde.blogspot.com/2016/05/blog-post_22.html 2017/11/25

[11] بدر أحمد جراح (2009). قضايا معاصرة في العولمة (التربية ، السياسة ، الاقتصاد) .المعتز للنشر والتوزيع . عمان . الأردن .. ص 36 .

[12] بدر أحمد جراح . مرجع سبق ذكره . ص 38 .
[13] بدر أحمد جراح . مرجع سبق ذكره .ص ص 38- 40 .
[14] إيمان سعيد أحمد باهمام . دور المنهج الدراسي في النظام التربوي الاسلامي في مواجهة تحديات العصر .أطروحة مقدمة انيل شهادة الدكتوراه .إشراف :محمود كسناوي .جامعة أم القرى . كلية التربية بمكة المكرمة . المملكة العربية السعودية .السنة الجامعية 2008- 2009 . ص ص 186 – 187 .
• للإشارة فإن صياغات جيدنز تبقى في المقام الأول ضمن مجال التحليل الثقافي وليس الاجتماعي، وهو الأمر الذي لاقى العديد من الانتقادات .انظر رونالد روبرتسون . العولمة والنظرية الاجتماعية .ص 145 .
[15] جون تومنليسون(2008).العولمة والثقافة . ترجمة : إيهاب عبد الرحيم محمد . سلسلة عالم المعرفة . عدد 354. الكويت .ص ص 78-84 .
[16] ماجد عرسان الكيلاني(1992). الأمة المسلمة، مفهومها ، مقوماتها ، إخراجها . العصر الحديث للنشر والتوزيع . بيروت .لبنان.ص ص 45-46 .
[17] بدر أحمد جراح . مرجع سبق ذكره . ص 38 .

[18]للوقوف على تفاصيل أوفى انظر : -www.eg.emb-japan.go.jp/e/birateral/japan_egypt/seminar/peace_and_human_development/mohammed_selim/mohammed_07selim_15.htm / 03 / 2008